

الأقسام في القرآن

(170) وَالاَلّارِضَ وما طَاحَها) إذ ينقلب معنى الآيتين أقسم برَبِّ السماء وربَّ ما بناها أي ربَّ بانيها ، وهكذا الحلف برَبِّ الارِضَ وما طَاحَها ، أي ربَّ طَاحِها . إلى هنا تمَّ الحلف بهذه الموجودات السماوية والارِضية والحية وغير الحية . أخبر سبحانه بأنَّه بعد ما خلق النفس وسوَّاهَا واكتملت خلقتها ظاهراً وباطناً ، علَّمها سبحانه التقوى والفجور ، وفهم من صحيح الذات ما هو الحسن والقبيح ، وقد تعلَّم ذلك في منهج الفطرة ، وقد استعمل كلمة "ألهم" لَأنَّه بمعنى إلقاء الشيء في روع الانسان من دون أن يعلم الملهم من أين أتى ، والانسان يعلم من صميم ذاته الحسن والسيِّء من دون أن يتعلَّم عند أحد . وقد أشار سبحانه إلى هذا النوع من الهداية الباطنية في آيات أُخَرى ، وقال : (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) . (1) ولما حلف بالموجودات السماوية والارِضية غير الحيَّة والحيَّة ، وأنَّه قد ألهم النفس الانسانية طرق الصلاح والفلاح ، أو طرق الشر والضلال ، أتى بجواب القسم ، وهو قوله : (قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا) ، فجعل "زكَّاهَا" مقابل "دسَّاهَا" فيعلم معنى الثاني من الاول ، فقال : (وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا) . والتزكية هو التطهير من الآثام ، مقابل التدسيس ، وهي إخفاء الرذائل والذنوب . انَّ قوله : (دَسَّاهَا) مشتق من التدسيس ، وهو إخفاء الشيء من الشيء ، والتدسيس مصدر دَسَّس ، وهو من دَسَس يدسس تدسيساً ، ومعنى الآية فالانسان _____ 1 - البلد: 10.